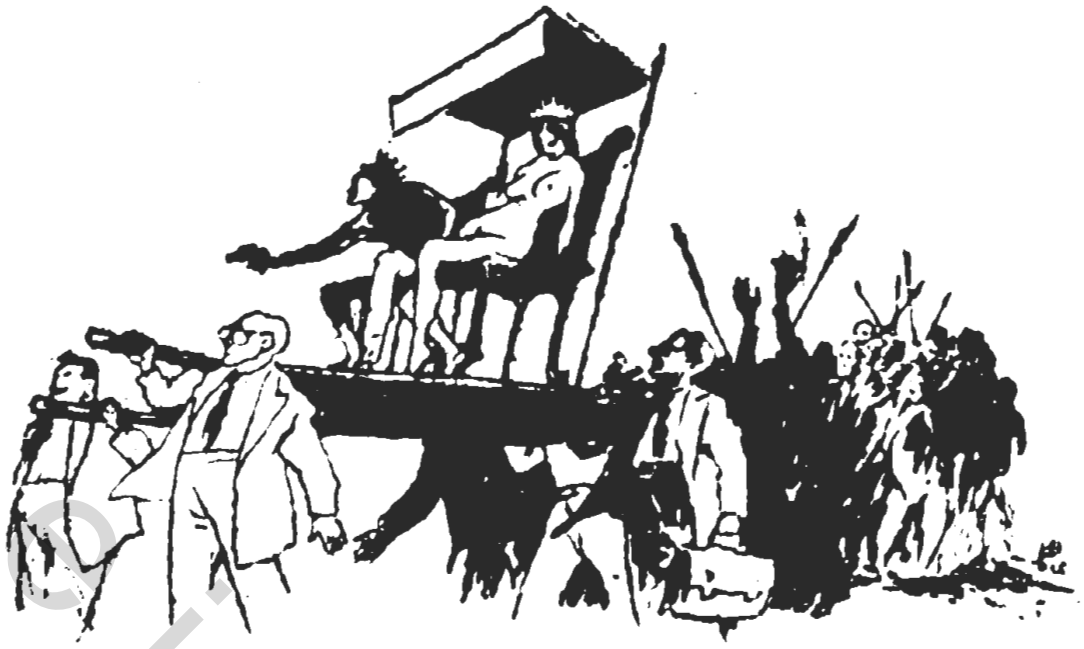

صاحب الجلالة - الجريمة والجنس

لست أنسى قصة «بادولا» - ذلك القاتل الخطير - الذى نشرت جرائمه ، صحف بريطانيا ذات الملايين من القراء .. فقد لبثت، أفحص طريقة العرض ، وابراز الصور، وكتابة العناوين الضخمة المثيرة ، وأقول لنفسى :

- انى ارثى حقا لمحررى الديلى ميل والديلى تلجراف والديلى ميرور .. ماذا يصنعون لو وقع زلزال دمر جزءا من لندن ؟ او نشبت حرب فى القارة الاوروبية؟ لقد استخدموا اضخم الحروف لكتابة اسم بادولا ، فماذا تركوا للاحداث العالمية الجسيمة ؟

ولكن ·· ربما كان « بادولا » اخطر من الزلازل والحروب ·· فمن هو هذا الرجل ؟

تعلم الرمي بالرصاص في أثناء الحرب العالمية الثانية . وجاء الى لندن من بلاده المانيا ، فنزل في بنسيون متواضع ، وانشأ علاقات مع بعض بنات الليل !·· ولسبب غامض ، قتل عشيقته — أو صديقة عشيقته — فلست أذكر بالدقة ايهما الضحية — وطارده رجال البوليس، فلما ضيقوا عليه الخناق ، صرع « جاويش » برصاصة من مسدسه سريع الطلقات ، وهرب سالبا على وجهه في ازقة لندن وشوارعها ·

وظهرت الصحف الواسعة الانتشار . تحمل العناوين المثيرة « القاتل سالب في الشوارع » ·· و « بادولا يحمل مسدسا سريع الطلقات » و « مصرع جاويش حاول القبض على بادولا » و « سيدة تصرخ من الطابق السادس عند اطلاق بادولا الرصاص » !

وكانت ضجة وحملة ومطاردة !

سكوتلانديارد ، يحاصر القاتل ،ويشم اثاره ·· بينما الصحف ، تستغل « المصادفات المرعبة » لتزيد عدد النسخ المطبوعة منها !

فزع ورعب في قلوب الجمهور ! وبيع كثير للصحف المثيرة !

مصيبة نزلت بالرجل « الذي لا يلبس سروالا » وكتبة « الحيوانيت » و « الشركات » !

وارباح تقفز قفزا ، على سلالم صحف « الجريمة والجنس » !

كارثة في ناحية ·· وهدية من السماء في ناحية ثانية !

تلك هي قصة بادولا !

حكاية، تجردها من التهويل والتضخيم فتجد انها حكاية عادية ، يمكن ان تقع، في مدينة ضخمة مثل لندن ، لا تخلو من جرائم اكبر وافظع من جريمة بادولا !

فما الذي حمل الصحف ، ذات الملايين الكثيرة على ان تلتقط هذه الحادثة بالذات وتنفخ فيها ، وتجعل منها « موضوع العام » ؟

في رأيي ، ان المصادفات جمعت ، في جريمة بادولا ، بين « الجريمة والجنس » فكان أن أثارت شهية تلك الصحف وحملتها على المضاربة بجريمة محزنة ··

الجريمة والجنس على الشاشة البيضاء

ذكرتني حكاية بادولا هذه ، بقصة سينمائية عرضت في القاهرة منذ مدة قصيرة ·· بطلها جندي عائد من الحرب افقدته المعارك اتزان اعصابه ، وهدوء عقله ، فارتكب جريمة قتل ، ليس لها من دافع ، الا دافع الاختلاط بين نزعات الجنس ، ورؤية الدم !

وتتكشف القصة السينمائية، عن معان خافية ··· فأشعر — أنا المشاهد — ان الرجال ثيران ، يستفزهم اللون القاني، فيهجمون على المرأة يوسعونها تقبيلا ، أو يخنقونها كما فعل بطل الرواية ··

الحدود بين الجنس والجريمة ، تضطرب أحيانا فيتصرف الرجل ، بعقلية القاتل !

هذه هي الفكرة التي تتردد في الرواية !

وقد يكون علم النفس التحليلي مسئولا عنها أو سببا في انتشارها ·

ولكن المسألة الاكثر أهمية ·· هي مسألة استخدام نتائج العلوم والفنون ، في بيع « الجريمة والجنس » ·

فالذى لا شك فيه أن المخرج العالمى ميتشكوك مثلا ، ومن يعاونه من كتاب السيناريو ، والحوار ، ومهندسى الصوت والديكور ، والتصوير الى اخر هذا الجيش الكبير من خبراء السينما ، يستخدمون آخر وأحدث التجارب العلمية ـ النفسية والطبيعية ـ لتقديم رواية ناجحة من روايات الرعب !

فاذا انتقلنا الى الصحف ، وجدنا كبار محررى « الاثارة » وكبار المصورين والمنسقين ، ومن يعاونهم من عمال مهرة فى الحفر ، والطبع ، والتلوين .. قد استعبدوا مقدراتهم الكبيرة ـ وهى بلا نزاع مقدرات هائلة ـ لصناعة موضوعات الرعب والجنس !

وهكذا ، تبدو اكبر اداتين من ادوات النشر ، والتوجيه العام ، مسخرتين لخدمة الجنس مرة ، والجريمة مرة !

والسؤال الان :

ـ لماذا ؟

ـ ما الدافع الى هذا التسخير ؟

هناك أكثر من سبب ، وقد يكون أبسط الاسباب ان هذه الصحف ، أو شركات السينما ، تربح الكثير جدا .. من بيع موضوعات الجنس والجريمة !

ومرة أخرى .. لماذا ؟

لان اثارة الغرائز ، أسهل من استئناسها .. والمضاربة بالرغبات الجامحة ، أسهل من توجيه تلك الرغبات! ففى لندن مثلا ، يغرق الملايين أحزانهم اليومية ، فى الشرب ، أو المقامرة ، أو متابعة القصص البوليسية ، أو قراءة الصحف المثيرة !

وقديما ـ قال طوم بين ـ عن لندن نفسها : « ان حيها الشعبى ـ ايست اند ـ كطاحون ، يطحن السكارى بشراب « الجن » ! فيدق بعض السكارى رءوسهم فى أحجار الطاحون ، ويتمرغ بعضهم الاخر فى طينها ، بينما يولول الاخرون :

ـ مزيدا من الخمر اللعينة ؟

هناك داء خبىء فى حياتنا الحديثة .. يطفو على سطحه الملل ، والضجر ، ويستقر فى قاعه الحزن والتمزق !

الحياة الصناعية ـ والحديثة عامة ـ تمزق الاعصاب وتخلق الاف المشاكل !

وطريقان اثنان أمام الانسان : اما أن يعرف كيف يتغلب على أزمة العصر الحديث ! أو يستسهل الامور ، فيرتمى فى أحضان الازمة .. فاذا كان يشكو من استبداد القمار به ، عالجه بأن بالغ فى لعب القمار .. واذا تسلطت عليه الخمر قاومها بشرب مزيد من الخمر !.. واذا شعر بالضيق أراح أعصابه ، بقراءة القصص المرعبة ، التى تدور حول المآزق والمواقف الصعبة .

مائة عام

واما الصحفيون ، فقد انقسموا الى فريقين كبيرين بازاء ازمة العصر الحديث ..

فريق ، يقول لك :

ـ دعنا نعبر الازمة، خاضعين لعقولنا !

وفريق ثان يقول :

ـ بل دعنا نسر وراء غرائزنا !

والفريق الثانى ، هو الذى يعتبر الصحافة تجارة !

بل هو الذى اعتقد ان الصحافة صناعة ليس فيها فن .. او ادب .. بل خبر مثير .. رعب .. او حب .. او طمع !

واذا كان محررو الديلى ميل والديلى ميرور بارعين حقا فى اسلوب الاثارة ، فذلك لان صحافة الاثارة تملك رصيدا كبيرا من حرفية المهنة .. وربما كان عمر هذا الرصيد مائة سنة على الاقل ..

فمثلا ، فى عام ١٨٦٠ أعلن الصحفى الفرنسى ـ الوقح ! ـ وهذه التسمية ليست اهانة بل تقريرا لحقيقة اذاعها عنه معاصروه ـ انه ..

ـ يجب أن تكون لدينا الشجاعة لاظهار تفاهتنا !

وكان ميلو ، يدشن ، بهذا التصريح الوقح ، العدد الاول من جريدته : « الجرنال الصغير » الذى سحب القراء من الصحف الاخرى ، فكان يبيع ٤٥٠ الف نسخة كل عدد !.. وكان متخصصا فى الجرائم .. عامة .. وجرائم القتل على نحو خاص ..

وكانت الثورة الصناعية ، قد أحدثت الاحداث فى تاريخ البشرية .. فهناك ماكينات كبيرة تصنع الورق ، وأخرى تطبع ، وثالثة تصور ، وتحمض ... وهناك جمهور تعلم الابجدية ، لا أكثر .. وهناك بعض الناس ، يحبون أن يوجهوا جمهور القراء وجهة معينة .. فيغرقوهم فيما سماه ميلو بـ «التفاهة»!

وفى هذه الظروف ، اشتدت صحافة الملايين ، واستخدمت أبشع الطرق فى جذب القراء ..

ذات مرة ، اعلن محرر « الهيومرس ويكل » انه اخفى فى مكان ما من الجزر البريطانية ، انبوبة بها ٥٠٠ جنيه استرلينى ، وان اى قارىء يعثر عليها ياخذ هذا المبلغ لنفسه !

انطلق القراء ، ينقبون عن الكنز الدفين فى كل مكان .. وارتفعت درجة الحمى والجنون بالذهب ... فهذا قارىء يحفر الارض فى قرية باسكتلندة ، وعشرات يشقونها فى مدن ويلز ، ومئات يبحثون عن الكنز فى ايرلنده ، والاف يحلمون به فى ليدز وشيفيلد الخ .. واكتسحت « الهيرمرس ويكل » الصحف الاخرى بمثل هذه المسابقات الغريبة !

ولكنها لم تكن الجريدة الوحيدة التى لجات الى المسابقات .. فالاجيال السابقة علينا تذكر لا شك ، غزوات مجلة « التيت بيتس » فى ادارات الحكومة قبل الحرب العالمية الاولى .

حدثنى قريب ، أحيل الى المعاش .. انه كان هو وزملاؤه ، موظفو المنسائر يتحرقون شوقا ولهفة ، كل سبت وأحد ليحصلوا على أعداد التيت بيتس .. ويحلوا الغازها ، فالجائزة المالية المرصودة انذاك ، كانت ثلاثة أضعاف مرتب كل منهم ..

كان ذلك كله منذ أربعين عاما .

وحتى اليوم ، تواصل جرائد الاثارة البريطانية ، والامريكية ، والفرنسية ، تقاليد الرعب ، واستفزاز الغرائز ، واللعب على أوتار الجنس !

حرب الورق

وامامى الان ، تحقيق صحفى ضخم ، منشور فى « الاوبزرفر » البريطانية ، عن هذه الحرب المريرة ، التى تدور بين عمالقة صناعة الصحف !

وانا انقل الى القارىء بعض فقراتها ..

يقول المحرر :

« فى زفة صاخبة من الاعلانات الكبيرة التى تستغرق صفحات كاملة من الصحف ومشاهد من برامج التليفزيون ، ومئات الالاف من الاعلانات الملصقة ، ظهرت مجلة جديدة للمرأة عنوانها الرئيسى « اليوم » وعنوانها الفرعى « جون بول الجديد » !

ومجلة « اليوم » هى اخر واحدث مشروعات مؤسسة « أودهام بريس » التى تعتبر أضخم مؤسسات النشر والصحافة فى العالم . فهى تملك صحف

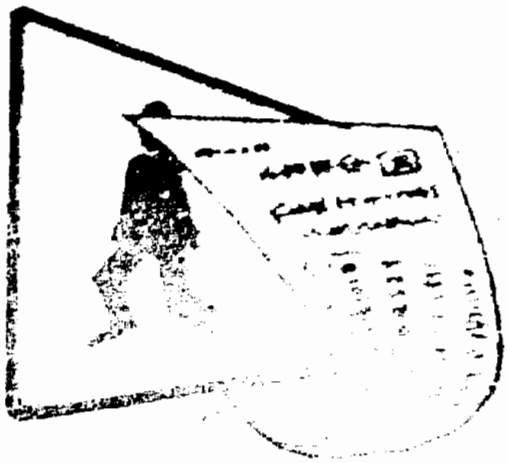

« دى بيبـــون » و « الديلى ميرالد » و « المرأة » و « دبريت » .

منافسة قاتلة

وصدور مجلة « اليوم » حلقة جديدة فى الصراع الدامى بين أكبر داريـــن للصحافة فى بريطانيا ... أولاهما دار أودهام الجبارة ، والثانية دار « الديلى ميرور » الضخمة !

هاتان الداران ، تحتكران اصـــدار المجلات . وتشتبكان معا ، فى حـــرب مريـــرة . فمثلا دفع سيسيل كنـــج — قريب اللورد نورثكليف — ومديـــر دار الديلى ميرور ١٨ مليون جنيه ، ثمنا لمؤسسة « الصحافة المتحـــدة » وكانت فكرته أن صحفه اليومية تحتفى أكثـــر فأكثر بالتحقيقات والمواد المثيرة والصور — وهى جميعا موضوعات المجلات — فليس غريبا اذن أن يشـــترى الشركات التى تصدر المجلات ..

وردت مؤسسة أودهام بشراء مجلات أخرى بما يزيد على الـ ١٥ مليون جنيه استرلينى .

وهكذا : فأكبر احتكارات الصـــحف فى بريطانيا ، مشغولة بالمجلات لا الجرائد اليومية !

ولكن اى نوع من المجلات ؟!

صاحبة الجلالة المرأة

تقول الاوبزرفر :

« منذ نهاية الحرب العالمية الثانيـة ، اكتسحت المجلات النسائية بقية أنواع المجلات المصورة والمرسومة ... فمجلـة « المرأة » تبيع ثلاثة ملايين ومائتى الف نسخة كل اسبوع .. ومجلة « عالـم المرأة » تبيع اكثر من مليون نسخة !..

وهاتان ، تصدران عن الدار الاولى .. دار أودهام !

أما دار الديلى ميرور فتبيع ٤ ملايين نسخة من مجلاتها النسائية !

وعلى هذا النحو يتراوح عدد النسخ المبيعة من المجلات النسائية بين ٨ملايين و١٠ ملايين نسخة كل اسبوع .

وتحتكر هذه الملايـين الكثيرة داران اثنتان — تؤمنان بأن فوق مملكـــــة الصحافة ملكان هما الجريمة والجنس!

مجلات المرأة للرجال والنساء

وهذه المجلات النسائيـــــة الكبيرة لا تصدر للنساء فقط ، بل تصدر أيضا للرجال !

هذا ما يقوله المشرفون على صـــناعة الصحف !

ما هو المغزى اذن ؟

هو ان أكبر دور الصحف فى العالم . تقدم للقراء مادة « بيتية » .. طبق اليوم وفستان الربيع .. واتيكيت حفـــلات الاوبرا .. والزواج .. والطـــلاق .. والحب والجنس !

وتشغل بهذه المواد أذهان قرائها !.. سائرة أمامهم ، عـــلى الطريق المرصوف الذى بدأه ميلو حين أعلن انه يجب أن يكون الصحفيون شجعانا فى اظهـــار تفاهتهم !..

هذا الطريق ، هو الاتجاه الى الاشياء الشخصية ، بدلا من القضايا العامة .. واغراق القراء في الآمال الكاذبة ، بدلا من مساعدتهم على اجتياز أزمة « الملل » وأزمة العصر الحديث !

انه الطريق الذى يقود الى عرش فوقه ملكان الجريمة والجنس ! وحوله حراس أشداء .. من أمثال سيسيل كنج ، مدير الميرور ، الذى يملك ١٧ فى المائة من أسهم شبكة التليفيزيون الاهلية فى بريطانيا .. ومن أمثال هيرست الذى كان يملك ٤٢ صحيفة ومجلة ، غير شبكات الاذاعة . وثروة تقدر بـ ٢٢٥ مليون دولار !

لقد أصبح قباطنة الصحافة المثيرة فى العالم . قباطنة المال والاسهم والبنوك ! تجد الواحد منهم مديرا لجريدة ثم ممثولا لمشروع ، ثم مالكا لمساحة كبيرة من الغابات ، ثم مساندا ضخما لحزب المحافظين فى بريطانيا !

كل ذلك ، يضىء الظلام حول الدعوة الى « الجنس والجريمة » فى الصحف !

وراء الاثارة .. ووراء فضائح الرجال والنساء .. وفستانك يا سيدتى .. وطبق اليوم ايتها الزوجة ، تيار يجرى الى زيادة مشاغل الناس العاديين ، بمشاغل عادية ايضا !!

اما السياسة .. والثقافة .. والاقتصاد ومصير الدنيا وانتصارات العلوم .. فارض حرام ، ورجس من عمل الشيطان ، لا يدخل مملكة صاحبى السلطان « الجنس والجريمة » .

رشدى صالح

❖ ❖ ❖

منطق ..!

المخرج (للبطلة) : فى هذا المنظر ، يهجم الشاب عليكى ، ويشد وثاقك بالحبال ، ثم يطبع على شفتيك قبلة طويلة .

البطلة : هل هو ذلك الشاب الواقف هناك ؟

المخرج : نعم

البطلة : اذن لا ضرورة لان يشد وثاقى !

❖ ❖ ❖

الحظ السيىء رجل يقف ويده فى جيبه ، وسيجارته فى فمه ، ينتظر كيف ستنتهى الامور ، والحظ الحسن رجل نشيط قد شمر عن ساعديه واخذ يعمل بجد لكى يجعل الامور تستقيم .

كل حيوية الطفالك
تظهر بعد تناول
جبنة نستو
مغذية
صحية
لذيذة

انتاج
الشركة المصرية لصناعة الجبن الجاف
الموزعون ليوفس وشركاه
نسولاكيس وشركاه

كل الأولاد يعشقون
جبنة
نستو
مبسترة